مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
العدد الثالث – المجلد الثاني
يونيو 2018 م
ISSN: 2522-3380

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

رَأْيُ الإمامِ الطَّبَرِيّ في حادِثةِ الإسْراءِ والمِعْراج

نعيمة أبو القاسم الصويع
الجامعة الوطنية الماليزية || ماليزيا

الملخص: تتناولُ هذه المقالة رأي الإمام الطبري في ليلة الإسراء والمعراج، وتكمن أهميتها في العرض الدقيق لتفاصيل رحلة الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وكيفية انتقال رسول الله ﷺ مع جبريل عليه السلام بواسطة (البراق)، وصلاته بالمسجد الأقصى، ثم عروجه إلى السماوات السبع، وتفاصيل رحلته هناك. وتتمثّل أهداف هذه المقالة في توضيح وإبراز رأي الإمام الطبري حول حيثيات رحلة الإسراء والمعراج، كما وتهتمّ بالكشف عن آراء أهل التأويل في أحداث هذه الرحلة.

ونخلص من هذه المقالة إلى عدة استنتاجات، أهمها حقيقة معجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة مشاهد الطريق العظيمة، ومشاهد العروج إلى السماء، ومعجزة الخروج من مكة ليلاً والوصول إلى بيت المقدس في لحظات سريعة، ومعجزة البراق التي كانت الدابة التي سخرها الله ضمن أدواتٍ انصرفت مشيئته أن تكون، فكان لونها معجزة، تضع قدمها في محل رؤيا العين أو على امتداد البصر، وقد خافت من حسّ أقدامها الإبل وهربت في الصحراء، ولم يكن البراق الشيء العجيب الوحيد، بل كل ما شاهده الرسول ﷺ يعدّ معجزاتٍ متعددة واحدة تلوَ الأخرى تقدّم النصح والإرشاد والرؤية بعين الهداية للناس أجمعين.

الكلمات المفتاحية: حادثة الإسراء والمعراج، النبي محمد ﷺ، الإمام الطبري.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين، وبعد،

فإنه هذه المقاولة ستتناول بمشيئة الله تعالى رأي الطبريّ في حادثة الإسراء والمعراج، مع ذكر آراء بعض العلماء في أحداث الإسراء والمعراج، فقد ذكرت لمحاتٍ من حياة هذا المفسّر الجليل مع تفاصيل عن نسبه وأصله وحياته ونشأته ورحلته في طلب العلم، وأقوال أهل العلم في شخصية الطبري، وأبرز تلاميذه وشيوخه، وعلمه وأخلاقه، وصولاً إلى وفاته. وتذكر أيضاً رأيه ووصفه لنزول الوحي على الرسولﷺ في ليلة الإسراء، وأخيراً تناولت المقالة بعضاً من أقوال أهل التأويل.

وقد كان سبب اختيار هذا الموضوع هو أن الإمام الطبري يعدّ من كبار العلماء الذين بلغ علمهم الآفاق، فقد انتشر علمه وذاع صيته بين أهل الامصار، مما جعل أهل العلم يتفرّغون للكتابة عنه رحمه الله، وحقّ لهم الكتابة عن هذا البحر الواسع والعالم الموسوعيّ صاحب المعرفة الممتدة والمتنوّعة في مجالات شتّى.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز رأي الطبري في حادثة الإسراء والمعراج وأهميتها في سيرة النبي ﷺ، وعرض لتفاصيل الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

أهداف الدراسة

1- بيان رحلة الإسراء والمعراج من وجهة نظر الإمام الطبري.
2- الكشف عن أحداث المعراج الإسلامي، ومقارنتها مع مثيلاتها في الديانات الأخرى.
3- بيان رأي أهل التأويل في أحداث الإسراء والمعراج.

الدراسات السابقة

استعانت الباحثة بعدد من الدراسات السابقة القريبة للاستفادة منها منهجيًا وعلميًا، وكانت معظم هذه الدراسات في الحقل العقدي، ومنها:

1- معجزة الإسراء والمعراج من منظور علمي، للباحث : الأستاذ الدكتور/ كارم السيد غنيم - الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
2- الإسراء كان بالجسد والروح يقظة لا مناما - مركز الفتوى - رقم الفتوى: 39732 نسخة محفوظة 05 يوليو 2017 على موقع واي باك مشين.
3- الإسراء والمعراج - موقع الشيخ عبد العزيز بن باز نسخة محفوظة 03 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.
4- الإسراء والمعراج - صيد الفوائد نسخة محفوظة 14 أغسطس 2017 على موقع واي باك مشين.

وقد أفادت هذه الأبحاث الكاتبة في إيضاح بعض النقاط التي تتعلق بالإسراء والمعراج ورؤية العلماء لها من زاوية عقائدية، كما قدّمت رؤىً مختلفة لعلماء من مذاهب متعددة. أما عن دراسة الكاتبة فقد أضافت قيمةً جديدة تمثّلت في توضيح رأي الطبري بشكلٍ بارز ومفصل بدءاً من الظروف المتكونة حول حياة نبينا صلى الله عليه وسلم والتي شكّلت دافعاً كبيراً لتكون له هدية الإسراء والمعراج، ومن ثم توضيح طبيعة هذه الرحلة ومجرياتها الحقيقية في نظر الإمام الطبري.

منهج الدراسة

اعتمدت في البحث على المنهج التحليلي الذي يقوم بتحليل النصوص الدينية من القرآن والسنة والكتب الفقهية والتي استند إليها الإمام الطبري في بيان رأيه حول مسألة رحلة الإسراء والمعراج.

وإضافة لذلك المنهج البرهاني الذي يقوم على الاستدلال الذي ينتقل فيه الذهن من مقدمات صادقة أولية مسلمة إلى قضايا تنتج عنها بالضرورة، ويقوم على أساس من مقدمات يقينية وينتهي تبعاً لذلك إلى نتائج يقينية.[1]

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة

المقدمة وفيها: أهمية الدراسة وأهدافها، ومنهجها وخطة البحث

المبحث الأول: التعريف بالإمام الطبري.

المبحث الثاني: رأي الطبري في نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: جهر الرسول ﷺ بالرسالة.

المبحث الرابع: رأي الطبري في ليلة الاسراء والمعراج.

المبحث الخامس: أقوال بعض أهل التأويل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

(1) الفرق بين الفرق، عقائد الفرقة الناجية منهم، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، مكتبة ابن سينا- مصر، ط1: 2005

المبحث الأول: التعريف بالإمام الطبري

أولاً: اسمه

اسمه هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، عالمٌ جليلٌ وشيخٌ كبير، يعدُّ مؤرخاً ومفسرًا ومحدّثًا ومقرئًا ومن أكبر الأئمة المجتهدين[2].

ألقابه كثيره فهو: الإمام، المجتهد، المفسّر، المحدّث، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، العلامة، اللُّغوي، الثقة، الثبت، المقرئ، المشهود له بذلك كله كما أن هذه الألقاب تشرف به. كنيته: أبو جعفر، وعرف بهذه الكنية واتفق المؤرخون على أنه لم يكن له ولدٌ يسمّى جعفر، بل إنه لم يتزوج أصلاً، ولكنه تكنى بها التزامًا بآداب الشرع الحنيف، فقد كان النبي ﷺ يطلق الكُنى على أصحابه[3].

ثانياً: ولادته ونشأته

ولد أبو جعفر في مدينة (آمل) عاصمة إقليم (طبرستان)، في أواخر عام 224 هجري، ولقد خرج من هذه البلدة كثيرٌ من العلماء وقلّما كانوا يُنسبون إليها[4].

أما تسميته بالطبري فنسبةً إلى إقليم طبرستان ونشأته في هذه المدينة. كان أبوه موسراً، فأنفق عليه ليتعلّم العلم، فقد رأى رؤيةً أن النبيﷺ وهو بين يديه، وكان معه مخلاة مملوءة بالحجارة، ومحمد بن جرير يرمي بها بين يديه، فعبرت له: "بأن ابنك إن كبر، نصح في دينه، وذبّ عن شريعته"[5].

فكانت سبباً في تبكيره بطلب العلم، فحفظ القرآن وعمره سبعُ سنوات[6]، وبدأ يكتب الحديث وعمره تسعُ سنوات على يد مشايخ طبرستان وما حولها. واستمرّ على الجادة، فنافس أقرانه، بل بارزهم في العلم كثيراً حتى شهدوا له بالتقدم عليهم، وبالحفظ والتحصيل، مما جعله محطّ اهتمامٍ عند شيوخه منذ صغر سنه. ويذكر عن نفسه هذه النشأة الجادّة في التحصيل، حيث يقول: "كنا نمضي إلى محمد بن أحمد الدولابي ندرس على يديه التاريخ، وكان في قرية من قرى الري، ثم نرجع نعدو مسرعين كالمجانين لنلحق بدرس محمد بن حميد الرازي في إملاء الحديث"، حتى ذكر أنه كتب عنه أكثر من مائة ألف حديث، ودرس على يديه كذلك التفسير، ودرس الفقه على يد أبي مقاتل فقيه الري.

وقد لبث ابنُ جرير في بلاده حتى جاوز البلوغ بقليل، وحين بلغ عمره ما يقرب الست عشرة سنة شغفت نفسه للقاء أحمد بن حنبل فقرر الرحيل إليه.

وفي ذلك كله كان أبوه ينفق عليه ليتفرّغ بطلب العلم والسفر لأجله، فكان أبوه في ذلك كله يمدّه بالمال حتى وهو في سفره بين البلدان، ولم يكن يتخلّف عنه إلا في مرةٍ قال عنها وهو في رحلاته: "أبطأت عني نفقةُ والدي، واضطررت إلى أن أفتق كُميْ قميصي فبعتُهما". وكان أبوه بعد موته قد خلّف له مزرعة يرسل له نصيبه منها في كل سنة[7].

---

(2) - ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المكتبة الشاملة، ج6، ص48.

(3) -ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص245.

(4) - البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ج 11، ص166.

(5) -محمد الزحيلي، الإمام الطبري، ص68.

(6) -ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص48؛ محمد الزحيلي، ص61.

(7) -تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ص125.

ثالثاً: رحلة الطبري إلى طلب العلم

شبّ الطبراني في بلاده على طلب العلم واستقائه من مناهله الواسعة وشيوخه الكبار الذين التقاهم في بلده، وانطلقت من بعدها رحلته العلمية إلى البلدان المجاورة في بلاد فارس، وتنقّل بين مدن طبرستان، وقد جرت العادة وقتها أن يأخذ الطالب العلم من شيوخ بلده ومن ثمّ يسافر هنا وهناك، واتجه شيخنا أبو جعفر إلي الريّ وما جاورها ليأخذ عن علماء الحديث واللغة والتفسير، كان يتنقّل كالنحلة من شيخ إلي شيخ، ومن عالم إلى عالم آخر، فأول ما كتب الحديث ببلده، ثم بالري وما جاورها وأكثر عن الشيوخ.

وأكثر في أول أمره عن شيخين، هما: محمد بن حميد الرازي، والمثنى بن إبراهيم الأبلي، يقول: "كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات، ويسألنا عمّا كتبناه وقرأه علينا، وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي، وكان في قرية من قرى الري، بينها وبين الري قطعة نأتي إلى الشيخ محمد بن حميد الرازي نجلس عنده، ثم نمضي إلى الدولابي، وإذا انتهينا من درس الدولابي، يكون قد حان موعد درس الرازي وبينهما مسافة – أي: قريتين –"، قال: "ثم نغدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه ونغدو كالمجانين"، أي: من السرعة في العدو للّحاق بدرس الشيخ، فمن شيخٍ في قرية، إلى شيخ آخر في قرية، ثم العودة إلى الشيخ الأول بهذه السرعة8. كل ذلك ينمّ عن وجود دافعٍ قويٍّ للتحصيل، حتى إن الواحد لا يكاد يلحق في حضور كل هؤلاء، فيكون وقته مزدحماً بدروس العلماء.[9]

رابعاً: أبرز تلاميذه

كان الطبري أحد أبرز العلامات في عصره، فقد حضر مجالسه العديد من أبرز علماء عصره وتتلمذوا على يديه، ومن هؤلاء أحمد بن كامل القاضي، ومحمد بن عبد الله الشافعي، ومخلد بن جعفر، وأحمد بن عبد الله بن الحسين الجيني الكياتي، وأحمد بن موسي بن العباس التميمي، وعبد الله بن أحمد الفزغاني، وعبد الواحد بن عمر بن محمد أبو طاهر البغدادي، ومحمد أبو الطاهر البغدادي البزاز، ومحمد بن أحمد بن عمر أبو بكر، وغيرهم.

خامساً: صفات الطبري الخلقية

بالنسبة لصفاته الخلقية رحمه الله، فقد كان على جانب عظيم من مكارم الأخلاق التي أكسبته محبة الناس والمشايخ والتلاميذ، ويصف أحد تلاميذه أخلاق أستاذه فيقول: كان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في باطنه، حسن العشرة لمجالسيه، متفقداً لأحوال أصحابه، مهذّباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، منبسطاً مع إخوانه حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جيء بين يديه بشيءٍ من الفاكهة، فيجرى في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل حتى يكون كأجدّ جديدٍ وأحسن علم، وكان يتمسّك بما عليه أهل السنة والجماعة كما سيأتي[10].

وممّا حصل من حسن خلقه مع خصومه أنه كان يحضر عند داود بن علي الظاهري يسمع منه، ويناقشه في العلم، حتى حضر مرة عنده وناقشه في مسألة من العلم، فضاق أحد أصحاب داود وكلّمه كلاماً فظّاً، فقام الطبري من مجلسه، وبدأ بتصنيف كتابٍ للردّ على داود ومناقشة مذهبه، وأخرج منه مائة ورقة، فلما مات داود، قطّع الطبري كتابه، فقام محمد بن داود للردّ على أبي جعفر، وتعسّف عليه وأخذ في سّبه، إلى أن جمعتهم المصادفة في

(8) البداية والنهاية، ابن كثير، ج11، ص166.

(9) ابن خلكان، وفات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4 ص192.

(10) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص85-86؛ محمد الزحيلي، الامام الطبري، ص76.

منزل، فلمّا عرفه الطبري، رحّب به، وأخذ يُثني على أبيه ويمدحه ويصفه بالصفات الكريمة، ممّا حمل ابن داود على تقطيع كتابه، فقطّع الكتاب وأتلفه ومزّقه، بسبب حسن استقبال أبي جعفر وثنائه على أبيه، فقد استطاع أن يمتصّ غضبه ونقمته، وحوّله من عدوٍ له إلى صديق[11].

سادساً: وفاة الطبري

عاش الطبري -رحمه الله- حياةً مباركة إلى أن بلغ ستة وثمانين عاماً قضاها في سبيل العلم ونشره، واستوطن في آخر عمره بغداد، وأقام بها، والتفّ حوله الطلاب والعلماء يُملي عليهم الكتب ويصنّف، ويعبد الله حتى أسلم روحه إلى بارئها في السادس من شوال عام (310هجري) في خلافة المقتدر بالله العباسي ودفن ببغداد[12].

قال ابن كثير: "ولما توفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد، وصلّوا عليه بداره، ومكث الناس يتردّدون إلى قبره يصلون عليه، ورُؤيت له منامات صالحة، ورُئِيَ بمراث وقصائد جميلة"[13].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويرحمه، وأن يُعليَ درجته ومنزلته، ونسأله سبحانه أن ينفع الأمة بعلمه، وأن يجعلنا ممّن شملهم برحمته وفضله.

المبحث الثاني: رأي الطبري في نزول الوحي على رسول الله ﷺ

قال أبو جعفر: صحّ الخبر عن رسول الله ﷺبما حدّثنا به ابن المثنى، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن غيلان بن جرير، أنه سمع عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة الأنصاري، أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم الاثنين، فقال: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت أو أُنزل عليّ فيه"[14].

وحدّثنا إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا موسى بن داود، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: "وُلد النبيّ ﷺ يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين".

وقال أبو جعفر الطبري: "وهذا-أي نزول الوحي عليه بالرسالة يوم الاثنين –مما لا خلاف فيه بين أهل العلم، وإنما اختلفوا في أيّ الأثانين كان ذلك؟" فقال بعضهم: "نزل القرآن على رسول الله ﷺ لثماني عشرة خلت من رمضان. وقال آخرون: لأربع وعشرين خلت منه"[15].

وقال آخرون لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾[16]، وذلك ملتقى رسول الله ﷺ والمشركين ببدر، وكان صبيحة سبع عشرة من رمضان. لكن لا دلالة في الآية على أن مبعثه كان مصادفاً لذلك اليوم.

قال أبو جعفر: وكان الرسول الله ﷺ من قبل أن يظهر له جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه – فيما ذ كرت – يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار مَن يُريد الله إكرامه واختصاصه بفضله، فكأنما ذلك ما قد ذكرتُ فيما مضي من خبره عن الملكين اللذين أتياه وهو صغير فشقّا بطنه، واستخرجا ما فيه من الغلّ والدنس، وهو عند

---

(11) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج14، ص267.

(12) ابن حلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4، ص192.

(13) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص167.

(14) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، موقع التوحيد، تراجم التوحيد.

(15) الأمام الطبري ومنهجه في التفسير، مقالات إسلام ويب، 2017.

(16) سورة الأنفال: الآية (41).

أمه من الرضاعة حليمة، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ في طريق لا يمرّ –فيها ذ كر– عنه بشجر ولا حجر فيه إلا سلّم عليه[17].

حدّثني الحارث بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: عن برّة بنت أبي تجراه، قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتًا، ويُفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمرّ بحجر ولا شجرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً[18].

قال أبو جعفر: وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة منها قومَها بذلك، وقد حدّثني الحارث قال: حدّثنا محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدّثني علي بن عيسي الحكمي، عن أبيه عن عامر بن ربيعة، قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: أنا أنتظر نبيًّا من ولد إسماعيل، ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به وأصدّقه، وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته، فأقرئه مني السلام، وسأخبرك بشكله حتى لا يخفى عليك، قلت: هلمّ، قال: هو رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليست تفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا مبعثه، ثم يُخرجه قومه منها، ويَكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب، فيظهر أمرك، فإياك أن تخدع عنه، فإني طفتُ البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدين وراءك، وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبق نبيٌّ غيره [19].

وقال أبو جعفر: قد ذ كرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت مجيء جبريل إلى نبينا محمد ﷺ بالوحي من الله، وكم كان عمر النبي ﷺ يومئذ، ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير إليه، وظهوره له بتنزيل ربه[20].

فحدّثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء، قال: حدثنا أبي، قال سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فقد كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنن فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها، حتى فاجأه الحقّ فأتاه، فقال: يا محمد، أنت رسول الله، قال رسول الله ﷺ: فجثوتُ لركبتي وأنا قائم، ثم زحفتُ ترجف بوادري، ثم دخلتُ على خديجة، فقلت :زمّلوني، زمّلوني حتى ذهب عني الرَّوْع، ثم أتاني فقال: يا محمد، أنت رسول الله، قال: فقلتُ :همْمتُ أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدّى لي حين هممتُ بذلك، فقال: يا محمد أنا جبريل، وأنت رسول الله. ثم قال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فأغتّني ثلاث مرات، حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[21] فقرأت. فأتيت خديجة، فقلتُ: لقد أشفقتُ على نفسي، فأخبرتُها خبري، فقالت: أبشرْ، فوالله لا يُخرجك الله أبدًا، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكَلّ وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق. ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني فيها جذع! ليتني أكون حيًّا حين يُخرجك قومك! قلت: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم؛ إنه لم يجئْ رجلٌ قط بما جئتَ به إلا عُوديَ، ولئن أدركني يومُك أنصرك نصرًا مؤزّرا[22].

---

(17) تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آيات القران، موقع طريق الإسلام.

(18) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الأول، دار الكتب العلمية بيروت، ص531-535.

(19) الإمام الطبري ومنهجه في التفسير، مقالات إسلام ويب.

(20) تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابقة، ج2، ص35.

(21) سورة العلق: الآية (1).

(22) الطبري، مصدر سابق، ص558.

ثم كان أول ما نزل عليه من القرآن بعد "اقرأ": ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5)﴾[23]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنذِرْ(2)﴾[24]، ﴿وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)﴾[25].

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: أتى جبريل رسول الله ﷺأول ليلة السبت، وليلة الأحد، ثم ظهر له برسالة الله عز وجل يوم الاثنين، فعلّمه الوضوء، وعلّمه الصلاة، وكان لرسول الله ﷺ يوم الاثنين يوم أوحي إليه، أربعون سنة.

قال أبو جعفر: فلما أمر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ أن يقوم بإنذار قومه من عقاب الله على ما كانوا مقيمين عليه من كفرهم بربهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون خلقهم ورزقهم؛ وأن يحدّث بنعمة ربه عليه بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[26]، وذلك – فيما زعم ابن إسحاق_ النبوة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، أي مما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدّث، أي اذكرها وادعُ إليها. قل أبو جعفر: كان أول شيء فرض الله عز وجل من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلع الأنداد الصلاة[27].

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن محمد بن إسحاق، قال: وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عينٌ فتوضأ جبريل عليه السلام، والرسول ﷺ ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل عليه السلام يتوضأ، ثم قام جبريل عليه السلام، فصلّى به وصلّى النبي ﷺ، ثم انصرف جبريل عليه السلام، فجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة، فتوضّأ لها يُريها كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل عليه السلام، فتوضّأت كما توضّأ رسول الله ﷺ، ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صلى به جبريل عليه السلام، فصلت بصلاته[28].

قال أبو جعفر: ثم اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله وآمن به وصدّقه على ما جاء به من عند الله من الحق بعد زوجته خديجة بنت خويلد، وصلّى معه[29].

المبحث الثالث: جهر الرسول ﷺ بالرسالة

إن الله عز وجل أمر نبيه محمدًا ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاء منه، وأن ينادي الناس بأمره ويدعوهم إليه، فقال له:﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[30]، وكان قبل ذلك -في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أُمر بإظهار الدعوة إلى الله- مستفسراً مخيا أمره ﷺ، وأنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[31]، قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا إذا

(23) -سورة القلم: الآيات (1-5).

-(24) سورة المدثر: الآيات (1-2).

(25) -سورة الضحى: الآيات (1-2).

(26) -سورة الضحى: الآية (11).

(27) -الطبري، الأمم والملوك، ج2، ص26.

(28) -ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان، ج4، ص194.

(29) -الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ص267.

(30) -سورة الحجر: الآية (94).

(31) -سورة الشعراء: الآيات (214-216).

صلّوا ذهبوا إلى الشِّعاب فاستخفّوا من قومهم؛ فبينما سعد بن أبي وقاص في نفرٍ من أصحاب النبي ﷺ في شعب مكة، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم فاقتتلوا، فضرب سعد بن وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي جملٍ فشجّه، فكان أولَ دمٍ أُريق في الإسلام[32].

قال ابن إسحاق فيما حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة عنه: فصدع رسول الله ﷺ بأمر الله، وفاتح قومه بالإسلام، فلمّا فعل ذلك لم يبعدْ منه قومه، ولم يردّوا عليه بعض الردّ -فيما بلغني- حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلمّا فعل ذلك عصوه وأجمعوا على مخالفته ومعاداته إلّا مَن عَصم الله منهم بالإسلام، وهم قليلٌ مستَخْفون، وحدب عليه أبو طالب عمّه ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرًا لأمره، لا يردّه عنه شيء. فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء يكرهونه مما أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أنّ أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه فلم يُسلّمْه لهم، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب، وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامَنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفَّه عنّا، وإمّا أن تُخّلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيك. فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردًّا جميلًا، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه. قال: ثم شري الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وضعفوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ فيما بينها وتذامروا فيه، وحضّ بعضهم بعضًا عليه. ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهَه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنا أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلكَ أحد الفريقين، أو كما قالوا. ثم انصرفوا عنه، فعظُم على بن أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له؛ ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه له[33].

قال أبو جعفر: ولما خرج مَن خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مهاجرًا إليها، ورسول الله ﷺ مقيمٌ بمكة، يدعو إلى الله سِرًا وجهرًا، قد منعه الله بعمّه أبي طالب وبمن استجاب لنصرته من عشيرته، ورأت قريش أنه لا سبيل لهم إليه رموه بالسحر والكهانة والجنون، وأنه شاعر، وجعلوا يصدّون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتّبعه، فكان أشدّ ما بلغوا منه حينئذ -فيما ذكر- ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن يحيي بن عروة بن الزبير، عن أبيه عروة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلتُ له: ما أكثرُ ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط! سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب دينا، وفوق سبِّ آلهتنا! لقد صبرنا منه على أمر عظيم[34].

(32) الطبري، الأمم والملوك، ج2، ص623.

(33) تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج2، ص 645.

(34) تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص689.

المبحث الرابع: رأي الطبري في ليلة الاسراء والمعراج

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: يعني تعالى ذ كره بقوله الكريم: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾[35] تنزيهًا للذي أسرى بعبده وتبرئةً له مما يقول فيه المشركين من أنّ له من خلقه شريكاً: وأن له صحابةً وولدًا، وعلوًّا له وتعظيماً عمّا أضافوه إليه ونسبوه من جهالات أقوالهم[36].

1- البداية

2- قبل أن نتحدث عن البراق لا بدّ من الحديث عن معنى الإسراء والمعراج

الإسراء: هي رحلة أرضية قام بها الرسول ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من مكة إلى بيت المقدس، حيث إن جبريل عليه السلام جاء إلى محمد عليه السلام فحمله على ظهر البراق إلى بيت المقدس، والبراق هو مخلوق بين حمار وبغل، طويل وأبيض وله جنحان في فخديه، وصعد الرسول ﷺ إلى السماء ورأى الأنبياء عليهم السلام وعرض عليه ثلاث أوانٍ، إناء فيه ماء وإناء فيه خمر وإناء فيه لبن، فشرب رسول الله ﷺ من إناء اللبن فقال له جبريل: هُديتُ وهَديتْ أمّتك وحُرِّمت عليكم الخمرة[37].

المعراج: فهي رحلةٌ سماوية قام بها رسولنا الكريم على ظهر البراق من الأرض إلى السماء، وانتهت به الرحلة إلى سدرة المنتهى، حيث اجتازها وحده، وفي هذه الرحلة رأى رسول الله النار وبعضًا من أهلها وعذابهم ورأى الجنة وبعضًا من نعيمها كما أنه ارتقى من سماءٍ إلى أخرى برفقة جبريل عليه السلام في كلِّ سماءٍ كان يرى أحد الأنبياء فكان يَسأل عن أسمائهم ويخبره بها جبريل[38].

أولاً: مشهد الإسراء

حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن "أن رسول الله ﷺ أسري به على البراق، وهي دابة إبراهيم عليه السلام التي كان يزور عليها البيت الحرام، يقع حافرها موضع طرفها".

حدّثنا يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن أنس بن مالك، قال: "لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله ﷺ فكأنها ضربت بذنبها، فقال لها جبرائيل: مهْ يا براقّ فو الله إن ركبك مثله، فاستحيا البراق وهدأت ثورته وسكن مكانه"[39].

فقال: ما هذه يا جبرائيل؟ قال: سرْ يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيءٌ يدعوه متنحيًّا عن الطريق يقول: هلمّ يا محمد، قال جبرائيل: سرْ يا محمد، فسار ما شاء أن يسير، أمّا جبريل عليه السلام فكان يسير بجناحيه إلى جانب البراق مؤنسًا ورفيقًا للرسول ﷺ، كانت وجهتهما بيت المقدس حيث يوجد المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، ثم لقيَه خلقٌ من الخلائق، فقال أحدهم: السلام عليك يا أولُ، والسلام عليك يا آخرُ، والسلام عليك يا حاشرُ، فقال له جبرائيل: ردَّ السلام يا محمد، قال: فردَّ السلام، ثم لقيه الثاني، فقال له مثل مقالة الأولين حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماءَ واللبن والخمر، فتناول رسول الله ﷺ اللبن، فقال له جبرائيل: أصبتَ

(35) سورة الإسراء: الآية (1).

(36) البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص355.

(37) ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ص279.

(38) مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، 1984، ص38.

(39) كارم السيد علي، معجزة الإسراء والمعراج في منظور علمي، مقالة، 2010، ص3

يا محمدُ الفطرة، ولو شربتَ الماء لغرقتَ وغرقت أمتك، ولو شربتَ الخمر لغَويتَ وغوت أمتك، ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأَمَّهم رسول الله ﷺ تلك الليلة[40].

ثم قال له جبرائيل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبقَ من الدنيا إلا بقدر ما بقي من عمر تلك العجوز، وأمّا الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدوّ الله إبليس، أراد أن تميل إليه، وأما الذين سلّموا عليك، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ثم عرج به إلى سماء الدنيا[41].

ثانياً: مشاهد المعراج

المشهد الأول

استفتح جبرائيل باباً من أبوابها، فقيل: ما هذا؟ قال: جبرائيل، فقيل: ومن معك؟ فقال: محمد، فقالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخٍ ومن خليفة، فنِعْمَ الأخُ ونِعْم الخليفةُ، ونِعْمَ المجيءُ جاء، فدخل فإذا هو برجلٍ تامِّ الخلق لم ينقصْ من خلقه شيءٌ كما ينقص من خلق الناس، على يمينه بابٌ تخرج منه ريحٌ طيبة، وعن شماله باب تخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، فقلت: يا جبرائيل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من عمره شيء؟ وما هذان البابان؟ قال: هذا أبوك آدم عليه السلام، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر إلى مَن يدخله من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن[42].

المشهد الثاني

ثم صعد جبرائيل بالرسول ﷺ إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد رسول الله، فقالوا: أَوَقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، فقالوا: حيّاه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فإذا هو بشابّين، فقال: يا جبرائيل من هذان الشابان؟ قال: هذا عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا ابنا الخالة[43].

المشهد الثالث

ثم صعد جبرائيل بالرسول ﷺ إلى السماء الثالثة، فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: من معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، فقالوا: حيّاه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيءُ جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل قد فُضِّل على الناس كلّهم في الحسن، كما فُضِّل القمر ليلة البدر عن سائر الكواكب، قال: من هذا يا جبرائيل الذي على الناس في الحُسن؟ قال: هذا أخوك يوسف[44].

---

(40) -ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص262.

(41) -البيهقي، دلائل النبوة، ج2، ص355.

(42) -الألباني، الأسراء والمعراج وذكر أحاديثها وتخريجها وبيان صحيحها، ص67.

(43) -مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، ص162.

(44) -مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ص40.

المشهد الرابع:

ثم صعد جبرائيل بالرسول ﷺ إلى السماء الرابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل، فإذا هو برجل، قال: من هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً[45].

المشهد الخامس

ثم صعد به إلى السماء الخامسة، فاستفتح، فقالوا: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، ثم دخل فإذا هو برجلٍ جالس وحوله قومٌ يقصُّ عليهم، قال: من هذا يا جبرائيل؟ ومن الذين حوله؟ قال: هذا هارون المحبَّب في قومه، وهؤلاء بنو إسرائيل[46].

المشهد السادس

ثم صعد به إلى السماء السادسة، فاستفتح، فقالوا: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيءُ جاء، فإذا هو برجلٍ جالس، فجاوزه، فبكى الرجل، فقال: يا جبرائيل من هذا؟ قال: موسى، قال: فما باله يبكي؟ قال: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا، وأنا في أخرى، فلو أنه بنفسه لم أبال، ولكن مع كلّ نبيٍّ أمته[47].

المشهد السابع

ثم صعد به إلى السماء السابعة، فاستفتح جبرائيل، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخٍ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فإذا برجل أشمطَ جالس عند باب الجنة على كرسي، وعنده قوم جلوس بيضُ الوجوه، أمثال القراطيس، وقومٌ في ألوانهم شيء، فقال: هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيءٌ، ثم دخلوا نهراً آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: يا جبرائيل من هذا الأشمطُ، ثم من هؤلاء البيضُ وجوههم، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، وما هذه الأنهار التي دخلوا، فجاؤوا وقد صفت ألوانهم؟ قال: هذا أبوك إبراهيم أول مَن شمط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه: فقومٌ لم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فتابوا، فتاب الله عليهم، وأما الأنهار: فأولها رحمة الله، وثانيهما: نعمة الله، والثالث: سقاهم ربُّهم شراباً طهوراً، قال: ثم انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السِّدرة ينتهي إليها كلُّ أحدٍ خلا من أمّتك على سنتِك، فإذا هي شجرةٌ يخرج من أصلها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسن، وأنهارٌ من لبن لم يتغيرْ طعمُه، وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مُصفّى، وهي شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظلِّها سبعين عاماً لا يقطعُها، والورقةُ منها مُغطيةٌ للأمة كلّها، قال: فعيشها نور الخلّاق عزّ وجلّ،

(45) الألباني، مصدر سابق، ص69.

(46) تاج العروس، مصدر سابق، ص42.

(47) معجزة الإسراء والمعراج، مصدر سابق، ص45.

وغشيتها الملائكةُ أمثالُ الغِرْبان حين يقعُ عن الشجرة، قال: فكلّمه عند ذلك، فقال له: سلْ، فقال: اتّخذتَ إبراهيم خليلاً وأعطيته مُلكاً عظيماً، وكلمتَ موسى تكليمًا، وأعطيتَ داود ملكاً عظيماً، وألنتَ له الحديد، وسخرتَ له الجبال، وأعطيتَ سليمان ملكاً عظيماً، وسخّرتَ له الجنّ والإنس والشياطين، وسخرتَ له الرياح، وأعطيتَه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلَّمتَ عيسى التوراة والإنجيل، وجعلتَه يُبرئ الأكمه والأبرص، ويُحيي الموتى بإذن الله، وأعذتَه وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل.

فقال له ربه: قد اتخذتُك حبيباً وخليلاً وهو مكتوبٌ في التوراة: حبيب الله، وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وشرحتُ لك صدرك، ووضعتُ عنك وزرك، ورفعتُ لك ذكرك، فلا أُذكَر إلا ذُكرت معي، وجعلتُ أمتك أمةً وسطاً، وجعلتُ أمتك هم الأولون والآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة، حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتُ من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقًا، وآخرهم بعثًا، وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعًا من المثاني، لم يعطها نبيٌّ قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام والهجرة، والجهاد، والصدقة، والصلاة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحًا وخاتمًا، فقال النبي ﷺ: "فضلني ربي بستٍّ: أعطاني فواتح الكلم وخواتيمه، وجوامع الحديث، وأرسلني إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وقذف في قلوب عدوي الرعب من مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض كلها طهورًا ومسجدًا، قال: وفرض علي خمسين صلاة"، فلما رجع إلى موسى، قال: بِمَ أُمرتَ يا محمد، قال: بخمسين صلاةً، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع النبي ﷺ إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، ثم رجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: بأربعين، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه، فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: بثلاثين، فقال: له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: بعشرين، قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشراً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: بعشر، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه خمساً، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: بخمس، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيتُ من بني إسرائيل شدة، قال: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت فما أنا راجع إليه، فقيل له: أما إنك كما صبرتَ نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاةً، فإن كل حسنة بعشر أمثالها، قال: فرضي محمد ﷺ كل الرضا"، فكان موسى أشدهم عليه حين مرّ به، وخيرهم له حين رجع إليه[48].

المبحث الخامس: أقوال بعض أهل التأويل

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عثمان بن موهب، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن النبي ﷺ:"أنه سئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سبحان الله، قال: إنزاه الله عن السوء".

(48) مسلم، كتاب الإيمان، باب الاسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ص168.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن السائب، في مسرى النبي ﷺ، أنها كانت تقول: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر، أهبنا رسول الله ﷺ، فلما صلّى الصبح وصلّينا معه قال: "يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداء معكم الآن كما ترين".

وقال آخرون: بل أسري به من المسجد، وفيه كان حين أسري به.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر بن عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبي الله ﷺ: "بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان، إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا، قال قتادة: قلت: ما يعني به؟ قال: فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيماناً وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض، وفي رواية أخرى: بدابة بيضاء يقال له البراق، فوق الحمار ودون البغل يقع خطوة منتهى طرفه، فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين إماماً، ثم عرج بي إلى السماء الدنيا".

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال محمد بن إسحاق: ثنا عمرو بن عبد الرحمن، عن الحسن أبي الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما أنا نائمٌ في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه، فجلست فلم أرَ شيئا، فعدتُ لمضجعي، فجاءني الثانية فهمزني بقدمه، فجلست فلم أرَ شيئا، فعدتُ لمضجعي، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه، فجلستُ، فأخذ بعضدي فقمتُ معه، فخرج بي إلى باب المسجد، فإذا دابةٌ بيضاء بين الحمار والبغل، له في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع يده في منتهى طرفه، فحملني عليه ثم خرج معي، لا يفوتني ولا أفوته"[49].

حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر قال: "سمعت أنسًا يحدّثنا عن ليلة المسرى برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال: أيهم هو؟ قال: أوسطهم هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرَهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ تنام عيناه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم[50].

فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولّاه منهم جبرائيل عليه السلام، فشقّ ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطستٍ من ذهب فيه نور محشو إيماناً وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده ثم ركب البراق، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ قال: هذا جبرائيل، قيل معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبًا به وأهلاً فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال: له جبرائيل: هذا أبوك فسلّم عليه، فرد عليه، فقال: مرحباً بك وأهلاً يا بني، فنعم الابن أنت[51].

(49) الألباني، مصدر سابق، ص80.

(50) مسلم، كتاب الإيمان، ص245.

(51)ابن منظور لسان العرب، ج8، ص325.

الخاتمة

أخيراً، فإن هذه الرحلة العظيمة ستبقى معجزةً خالدة أبد الدهر تثبت بعين اليقين صدق نبوءة سيدنا محمد ﷺ، وتظلّ مجرياتها حقيقة واضحة لا جدال فيها، وكل تفاصيلها بدءاً من أسبابها ومروراً بأحداثها في الأرض وفي السماء مدعّمة بالأدلة والشواهد على يقينها. وقد كان هذا البحث نموذجاً واضحاً على أن رحلة الإسراء والمعراج في كتب الطبري هي رحلة أكيدة واللقاءات والحوارات التي جرت فيها كانت جزءاً من هذه الرحلة.

كما وتناول هذا البحث تفاصيل الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعروجه سيدنا محمد ﷺ إلى السماوات العلا ولقاءه بالأنبياء بدءاً من السماء الأولى حتى السابعة، والحوارات التي دارت بينه وبين سكان السماء.

وبذلك يكون الإمام الطبري قد أورد تفاصيل هذه الرحلة في كتبه وأسندها إلى الأدلة والحجج الواضحة المسطورة والمنظورة والمنطقية.

وما كان من جهدٍ يذكر في مقام رفيع كهذا، ولكنها منةٌ من الله وفضل، فإن أصبنا صواباً فمن مولانا، وإن أخطأنا فمن أنفسنا...

التوصيات

من خلال ما ذكر الطبريّ في حديثه عن الإسراء والمعراج وحقاق ما جرى في هذه المعجزة، نخلص في نهاية هذه المقالة إلى بعض التوصيات، منها

1- أن في سيرة محمد بن جرير الطبري-رحمه الله تعالى – وغيره من العظماء السابقين والعلماء الصالحين، دليلاً واضحًا على أن الإسلام هو الحل الجذري الأصيل، والدواء العلمي المجرب وهو وحده طريق الخلاص مما تعانيه أمتنا من الضعف والتخلّف، ومن الفوضى والانحلال، ومن العجز عن إيجاد القادة والمصلحين.

2- حقيقة معجزة الإسراء والمعراج، معجزة مشاهد الطريق العظيمة، ومشاهد العروج إلى السماء معجزة الخروج من مكة ليلاً والوصول إلى بيت المقدس في لحظات سريعة، وكان البراق هو الأداة التي سخّرها الله ضمن أدوات انصرفت مشيئته أن تكون، فكان لونه معجزة، يضع قدمه في محل رؤيا العين أو على امتداد البصر خافت من حس أقدامه الإبل وهربت في الصحراء ولم يكن البراق الشيء العجيب الوحيد، بل كل ما شاهده الرسول ﷺ يعد معجزات متعددة واحدة تلو الأخرى تقدم النصح والإرشاد للناس أجمعين.

3- أن أعظم وأجل ما وصل إلينا من كتب التفسير هو كتاب الإمام محمد بن جرير الطبري ذلك الكتاب الغاية في النفع والعلم الجامع بما حواة من روائع التفسير المفيد لطلبة العلم والعلماء الذي أثرى مكتباتنا الإسلامية وكان له فيه عظيم الأثر.

4- لقد رأينا بعد هذا البحث المختصر في حق هذا الشيخ وكتابه المفتخر اختلاف منهجه في التفسير وذكره لأقوال مَن غبر من أهل العلم والأثر وإحقاقه للحق بقولهم وبقوله في كل ما هو محلٌّ للنظر.

المراجع والمصادر

1- ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، دار الفكر- بيروت، ط1: 1986م.

2- ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث- السعودية، ط1: 1990م.

3- ابن خلكان، وفات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1: 1994م.

4- الألباني، الإسراء والمعراج وذكر أحاديثها وتخريجها وبيان صحيحها، المكتبة الإسلامية- الرياض، ط1: 2000م.
5- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3: 1998م.
6- البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب ودار الريان للتراث- لبنان، ط1: 1988م.
7- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح الحلو، د.ن: 1964م.
8- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1: 1985م.
9- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار التراث- بيروت، ط1: 1998م.
10- الطبري، تراجم التوحيد، تح: يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، ط1: 1985م.
11- الفرق بين الفرق، عقائد الفرقة الناجية منهم، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، مكتبة ابن سينا- مصر، ط1: 2005
12- كارم السيد علي، معجزة الإسراء والمعراج في منظور علمي، مقالة، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الرابط:
http://www.quran-m.com/quran/article/2564/%D9%85%D8%B9%D8%AC%D8%B2%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%80%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D8%AC-%D9%85%D9%86-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%80%D9%88%D8%B1-%D8%B9%D9%84%D9%80%D9%85%D9%8A
13- محمد الزحيلي، الإمام الطبري شيخ المفكرين وعمادة المؤلفين، دار القلم- دمشق، ط1: 1999م.
14- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية- بيروت، د.ط
15- مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1: 1980م.
16- ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تح: إحسان عباس، دار العرب الإسلامي- بيروت، ط1: 1993م.

The Views of Imam Al-Tabari on the Night of Isra and Mi'raj [52]

Abstract: The article addresses the views of Imam Al-Tabari on the night of Isra and Mi'raj. The importance of this article lies in the precise presentation of the details of the journey of Isra and Mi'raj from the Sacred Mosque to Al-Aqsa Mosque, and how the Messenger of Allah traveled with Jibril (peace be upon him) using Al-Burāq[53], to pray at Al-Aqsa mosque and then going to the heavens and the details of his trip there. The objectives of this article are to clarify and to highlight the views of Imam Al-Tabari on the merits of the journey of Isra and Mi'raj. It also focuses on revealing the views of the people of interpretation regarding the events of this trip.

From this article, we reach several conclusions, the most important of which is the truth of the Miracle of Isra and Mi'raj, the miracle of the great journey scenes, the scenes of the ascending to Heaven, the miracle of going out of Mecca to Jerusalem in the same night, and the miracle of Al-Burāq, it was the animal that God created. Everything about Al-Burāq was a miracle. Its color was a miracle, it would put its foot in a place and it would block the whole horizon of the eyesight, and the camels were afraid of the sound of its feet that they fled to the desert. Knowing all of that, Al-Burāq was not the only wonderful thing, but all that the Prophet saw is considered to be miracles that give advice, guidance, and vision to all people.

Keywords: The occurrence of Isra and Maraj, prophet muhammed, Imam al-Tabari,

(52) The Isra and Mi'raj are the two parts of a Night Journey that, according to Islam, Muhammad (PBUH) took during a single night around the year 621 CE.

(53) Al-Burāq is the creature from the heavens that carried the Islamic prophet Muhammad from Mecca to Jerusalem and back during the Isra and Mi'raj or "Night Journey", as recounted in hadith literature.